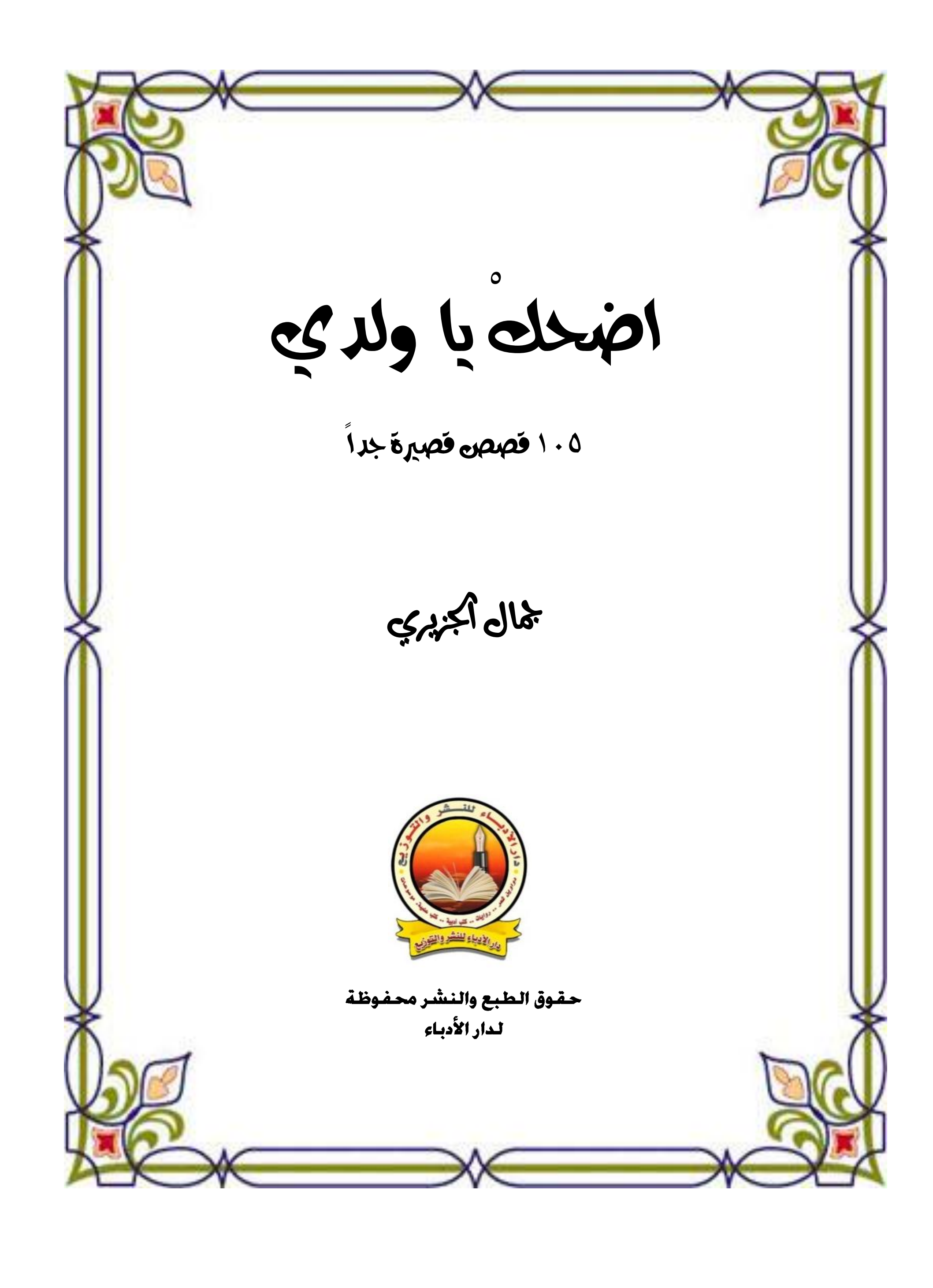


اضحكْ يا ولدي

١٠٥ قصص قصيرة جداً

جمال الجزيري

اسم الدار	دار الأدباء للنشر والتوزيع
اسم الديوان	اضحكْ يا ولدي
اسم المؤلف	جمال الجزيري
رقم الإيداع	(٢٠١٨/٣٧١٨) بدار الكتب المصرية
الإخراج الفني	(بداية ـ عادل كامل)
الغلاف	من تصميمات الدار



الاهـــداء

إلى محبي أدب السرديات ..

وعشاق القصص القصيرة

د. جمال الجزيري

بسمةُ شمسِكَ

نظر إلى الشمس المشرقة التي تحاول مجددا أن تدعم عزيمته، قائلا: "يا رب، الكونُ لك، وأنا لك، فثبِّتْ قدميّ على طريق الحياة ولا تجعل كل سنواتي الماضية تضيعُ على يد من يحفرون الأنفاقَ تحتي. يا رب، الريحُ أغنيةُ عملٍ، ولكنها تحاولُ أن تقتلع أعمالي الصغيرة التي أراها الآن تجتمع لتبني لي بيتا. فبارك لي في أصواتي النابتة وفي رباطِ أعمالي كي أحسَّ ببسمة شمسكَ التي تلقي عليَّ الآن السلام."

٢٠ مارس ٢٠١٥

يا شباب

ألقيتُ عليهم السلام، ثم سلَّمتُ عليهم فردا فردا بكل حميمية وتقدير وودٍّ. قلتُ لهم مداعبا: "كيف حالكم يا شباب؟" رأيتُ ابتسامة تتلعثم على شفاههم وكانت عين كل واحد منهم تكتظ بقصة محبوسة كأنها عادت عشرات السنين إلى ذكريات تحاول أن تقتنصها بكامل عنفوانها من ذاكرتها بلا جدوى. فأحسستُ بالخجل وجلستُ وسطهم أرتشف الشاي دون أن أتكلم لأتركهم يتمكنون من ذكريات تكاد تُسقط الدمعَ من أعينهم.

١٥ أكتوبر ٢٠١٢

هجرةُ فيضانٍ

بُخارٌ يتصاعدُ من مجرى الماء، أبو قردان على البُعدِ لم أرَه منذ "خمْساتِ" السنين، شجرةٌ نصفُ أغصانِها جافٌّ، والنِّصفُ الآخر يبكي جفافًا قادمًا. بحثتُ عن الفَسِّيكَةِ، عن القِمْرِيَّةِ، عن الهُدْهُدِ. تاهتْ عيناي. غامتْ ذاكرتي. احتبستْ دمعةٌ. أحسستُ بِوَحْشَةٍ ورعشةٍ. وأبصرتُ روايةً كابوسيَّةً تبدأ من على الدِّكةِ أمامَ البيتِ. جريْتُ في المدى، وأنا أُدركُ – كما في الرواية[١] – أنني سأنطلقُ من المقابرِ وأعانق أصواتًا تركَها المُقَرَّبونَ على هاتفي في شهورِ فقدانِ الذَّاكرةِ.

١٣ أكتوبر ٢٠١٤

وَحْلُ الشتاءِ

ألقى علينا السلام، وقبل أن نردَّ عليه بادرنا بالسؤال: "هل تذكرونني أم أن طُولَ شتاءِ أرضِكم جفَّف ذاكرتَكم؟" كانت عيناه شديدتي الخضرة كأشجار قطعناها كي لا يحتلَّ الشتاءُ أجسادَنا، وكان شَعَرُه فاترَ السوادِ كطميٍ يداعبُه الماءُ في الربيع. أحسسنا في ملامحه أُلْفَةً، لكننا لم نستطع أن نحدد له أرضا في ذاكرتنا. وعندما دقَّق النظر في أعيننا، وجدنا أنفسنا نحملق في الأرض حتى كدنا نرى نباتات تنتظر أن نزيل عنها وَحْلَ الشتاءِ.   ١٩ ديسمبر ٢٠١٠

---

[١] رواية لي لم استقر على عنوان لها بعد، انتهيتُ من كتابتها ومازالت في مرحلة المراجعة.



جذرٌ وأغصانٌ

قال: "اقلعْ الجذرَ ولا تتردَّدْ". قالها بنبرة حاسمة جازمة متهوِّرة، ثم أضاف محذِّرًا: "لا تستمعْ لمن يقول إن الغصنَ إذا ما أُصيب يمكنُ للجذرِ أن يدفع بغصنٍ بدلا منه". وأخذ يتكلَّم عن فلسفة نباتية لم أرَ فيها ثورةً ولا رؤيةً ولا عَالَمًا بديلا. فرفعتُ الفأسَ أمام وجهه في الهواء لأوحيَ له بأن لسانَه وفقًا لكلامه بحاجة إلى قلعٍ مثل الجذرِ. وعندما لم يستوعبْ إشارتي، أبعدتُه بيدي وأخذتُ أحفرُ بجانب الجذر حتى أستطيع أن أصل لما يمنعه من الامتداد في التربة أو من الدفعِ بأغصانٍ تعلو في آفاق السماء.

٢٢ يوليو ٢٠١٢

تخاريف

ماضيه أفيونُه ومبسمُ شيشتِه... أترى!؟ ما رأيكَ في ضمير الغائبِ بنهارِ رمضان؟ أيعجبُكَ؟ ماضيكَ أَفْيُونِي؟ أَفْيُونُكَ ماضيَّ؟ ماضيَّ أفيونُكَ؟ ماضيَّ أفيوني؟ فليذهبوا جميعا إلى جحيم ماضيهم، لا يهمني شيء منهم إن جاءوا أو رحلوا، إن أقاموا في دربِ الشمس أو أقاموا في درب الصقيع، فهم هَالِكُونَ هالكون، وأنا هالك مثلهم، بسببهم، لأجلهم، لا لشيء، لا لشخص.. أي شيء!!! أين مَبْسَمُ الشيشةِ الآن؟؟

٢٩ يونيو ٢٠١٤

وجوهٌ عالقةٌ

لا أدري ما الذي قادنا إلى ذلك الشارع. لم تكن لي حاجة فيه، ولم تكن لها حاجة كما أعلنتْ. لم نتكلَّمْ كثيرًا. استطالتْ بسمةٌ ذاهلةٌ على شفتيّ وعلى شفتيْها، ونظرةٌ تحاولُ أن ترجعَ للوراءِ عشرين عامًا قبل افتراقِ الطُّرُقِ. همَّتْ يدانا أن تتلامسا سلامًا، لكنني أمسكتُ بيدي وأمسكتْ بيدها. خشيتُ أن تشتعلَ صفحاتُ تاريخنا ثورةً فنحفر لوجوهٍ عالقةٍ بكلٍّ منَّا قبرًا. اتسعَ ذهولُ البسمةِ ومضى كلٌّ منا إلى وجوهٍ تنتظرُ لمسةً.

١ أبريل ٢٠١٤

خيوطٌ

رأتْني قطَّةٌ قادمًا نحوها في موقفِ السيَّارات. تفحَّصَتْنِي كأنَّها تحاولُ أن تتعرَّفَ في ملامحي على كائنٍ تعرفُهُ. توقَّفتُ. كنتُ أودُّ أن أقتربَ منها أكثر كي أُتيحَ لها فرصةً أكبر للتَّعَرُّفِ واستكشفَ في الخيوطِ التي تمدُّها بيني وبينَها لُغَةً مشتَرَكَةً ووجوهًا غابتْ عنِّي. لكنَّ الخيوطَ التي تلزمني بالارتباط بذلك المبنى شدَّتْني من قدميّ، فتركتُها تُكْملُ تَفَحُّصَها وسارعتُ إلى قاعةِ التدريسِ أعلى الموقَفِ كي ألحقَ بموعدِ الاختبارِ.

١٢ مايو ٢٠١٤



توكُّؤ

يخرجانِ من السينما دامعين. يتوكآن على ذكريات قديمة ورهافة قلبين كانا ينتعشان بالبهجة والإرادةِ. هل كان الفيلم حزينًا فأبكاهما؟ أم كان فَرِحًا فأبكى ذكرياتهما؟ نظرتُ إلى الأفق: وجدتُ نفسي أتوكأُ على أشباحٍ لا تَبِينُ كأنني هاربٌ منِّي أو أن ذكرياتي لا تقوى على السير. فحزنتُ لحزنهما ودمعتُ لفرحي الذي سيتلاشى في الأفقِ دون أن تستحضره شاشةٌ بكامل عنفوانه أو ترجعَ الخطواتُ للوراء.

٤ مارس ٢٠١٤

علمٌ

أرسلتْ لي البحثَ. قبل البدء في مراجعتِه، وضعتُ جملةً عشوائيَّة في مُحرِّكِ البحث. وجدتُ أن البحثَ كلَّه مسروقٌ. وضعتُ لها الرابطَ الأصليَّ في رسالةِ البريد الإلكتروني، مُهدِّدًا إياها بالرسوب وإبلاغ إدارةِ الجامعةِ إذا تكرَّرَ ذلكَ. أرسلتْ لي رسالةَ اعتذار: "كيفَ يُعقَلُ أن أشرقَ. اختلطتِ الملفَّاتِ عليَّ فأرسلتُ لك الملف الخطأ". رددت عليها بعبارة واحدة: "في انتظار الملفِّ". أرسلتْ رسالةً تقول: "لم أنتهِ منه بعد".

٢٣ سبتمبر ٢٠١٤



مياهُ يقينٍ راكدةٌ

أخذ يقول كلاما كثيرا تتكرر فيه كلمة "الخطوة" كل نصف دقيقة تقريبا. ابتسمتُ ابتسامة ربما كانت ماكرة وقلتُ له: "هل تستطيع أن تقول لي الفرق بين الحركة والتغيُّر؟" نظر إليَّ نظرة حائرة حاول أن يخفيها بأن أخذ يتكلم كلاما كثيرا لم أستطع أن أتوصَّل للنقطة التي تجمعه على هدف واحد. وبعدما ظنَّ أنه استطاع أن يُبْعِدَني عن سؤالي، عاد إلى خطواته كأن السؤال ليس مدعاة للتوقف أو لتصريف مياه اليقين الراكدة.

٢٢ ديسمبر ٢٠١٣

زعامةُ الخرابِ

رأيتُ نفس الصورة على ثلاث شاشات بزوايا مختلفة، زوايا من شدة اختلافها تكاد تقول إن الأصل غير موجود. ورأيتُ المشاهدين أمام كل شاشة يغضبون لما يرونه، لاعنين مَنْ تُروِّجُ الشاشةُ ضدهم أو أولئك الذين تستدرجهم الزوايا لكي يلعنوهم. وقفتُ بعينٍ محايدة كأنها السكون الذي يستبقي الأنفاس وقت الخطر كي لا يضيع كل شيء ويتسيَّدَ الموتُ اللوحةَ ويرسم بريشته الدموية اللمسة الأخيرة التي تعلن زعامةَ الخراب.

٢٦ ديسمبر ٢٠١٣

مُحْدَثو مُدُنٍ

عندما تعرَّفتُ عليه بعد أن استلمتُ عملي للتوِّ وأخبرته أنني أسكن في حي شعبي، سألني سؤالا عفويا مباشرا: "كيف عيَّنك رئيسُ القسم وأنت لستَ من ساكني المدينة الجديدة؟" نظرتُ إليه نظرة طويلة. وجدتُ أنه سؤال حقيقي لا يحتمل المزاح. حاولتُ أن أبدِّد قدرا من حيرته أو تعجُّبه. قلتُ له: "ربما كان تخصُّصي لا يقدر عليه سكانُ تلك المدينة التي تتحدث عنها". وأخذتُ أفكر في طريقة أُسنُّ بها حِيَلي حتى تقطع خيوطَ عداوةٍ سكانِ المدينة الجديدة من حولي في مكان العمل البعيد عن مدينتهم.

١ يناير ٢٠١١

وطنيُّو الخيانة

قمتُ بوضع جدول الاختبارات كالمعتاد، ولكنه جدول اختبارات التعليم الموازي هذه المرة: كل زميل يراقب على طلاب مادته، وكل الزملاء يتوزعون ليقوموا بدور المراقب الثاني بعيدا عن موادهم.

أرجعوا الجدول لي قائلين: "الأولوية للوطنيين. كل مدرِّس في مادته. كل المراقبات الأخرى للوطنيين". مرَّتْ برأسي فكرة أنني خائن بلا مبرر، وأدركتُ أن للخيانة معانٍ أخرى عندما عرفتُ أن كل تلك الساعات بأجر إضافي وأن وضعي للجدول أيضا بلا أجر.

١٠ يناير ٢٠١١

أحواض أسماكهم

طوفان دماء يهدر على الأرصفة. روَّجت له قنوات التليفزيون المحلية في برامجها السياحية بتذاكر مخفَّضة وهدايا مجانية. سارع المُتَتَلفَزون لحجز شاليهات توفِّر لهم السباحة والصيد والكراسي الآمنة. اكتشفوا أن السباحة في التيار ستجرفهم. فأدلوا صناراتهم لينغزوا دما ويؤرقوا روحا حَرَمَتْهم من سباحةٍ دفعوا مقابلها سعرا ولو مخفَّضًا. صدمهم السمكُ الميت من حرارة الدماء، فاكتفوا بملء زجاجاتهم بالدماء كذكرى رحلة تجلب الفرحة لأحواض أسماكهم عندما يرجعون، لاعنين شركة سياحية تمزح معهم مزاحا ثقيلا.

٢، ٤ مايو ٢٠١٢

حفرةُ مربَّعٍ

خطا خطوتين للأمام، ثم أتبعهما بخطوتين جانبيتين. قلتُ: "لا بأس، فربما لم يكن الخط المستقيم يؤدي دائما إلى الهدف." وأخطأتُ في كلمة "الهدف" ونطقتها أولا "الحدث". توقعتُ بعد الخطوتين الجانبيتين أن يصعد عند نهايتهما بخطوتين للأمام كأنه يصنع سلَّمًا. لكنني وجدته يعود خطوتين للوراء، ثم خطوتين جانبيتين ليُحْكِمَ إغلاقَ المربع، كأنه سيحفر حفرة أو بئرا داخله ويلقي فيه بنفسه، ظانًّا نفسه يوسف في صباه.

٢٢ ديسمبر ٢٠١٣



بيانُ سَجَّانٍ

"هيا بنا نبدأ العمل"، قالها سجينٌ سابقٌ جادا حاسما متطلِّعا لغد أفضل وخطوة لم يعد يطاردها أحد أو يتصيَّدها إلى الزنازين. أصد بيانا يؤكد فيه عدالة الأرض وعدالة السماء وأن الزنازين التي أنضجت فكرَه تحوي الآن من لا يتَّفق على هذا الفكر. وعندما وجد أن بيانه لا يلقى استحسان بعض الشباب اتَّصلَ بسجَّانه السابق ليلقي القبض عليهم متلبِّسين، فمعه أسطوانة الفيديو ومعه تسجيلات لهتافاتهم في الميدان.

١٩ نوفمبر ٢٠١١

أقنعة متداخلة

قسَّمنا الحقول بحدود من أشجار ورثناها ليتحمَّلَ كل منا مسئولية زراعة غيط وكلفناه هو بالري. روى غيطا لصاحبه، ثم اقتلع الأشجار، خلط بين الحقول، قطع الكهرباء عن ماكينة الري ظننا منه أن غيط صاحبه ارتوى للأبد وأن غيطاننا ستموت عطشا. قلنا: "ربما شعر بالتعب وسيعاود الري غدا." جاء بعد أسبوع ليقول إنه أجَّر ماكينة المياه والأرض وباع محصول سنوات قادمة، فما كان مني إلا أن هويتُ بالفأس على رأسه. وعندما ظهر أناس رافعين عقودا، سرت الحمية في أيادينا واقتطفنا رؤوسهم ومزقنا العقود. ١٥ مايو ٢٠١٣



ممازحةٌ

هذا الخيط يشدُّني للوراء، يقول لي: "عليكَ مستحقَّات لا بد أن تنجزها؛ أنت الذي كلَّفتَ نفسَك بها". أقول له مع أنني لا أراه: "كلّفتُ نفسي بها، نعم، هذه حقيقة، لكنني كنتُ مستبشرًا، لم أكن أعرف أن لقمة العيش ستكون مطالبها باهظة هكذا، كما أنني لم أدّخر ساعة واحدة لنفسي طوال هذا العام الذي يوشك أن يختفي". يردُّ قائلا: "ولو"، فأردُّ عليه ممازحًا: "لو تُدخِلُ عملَ الشيطانِ" وأنزع نفسي من كل الخيوط.

٣١ ديسمبر ٢٠١٦

لا تحزنْ

قالت: "يا ولدي، لا تحزن". نظرتُ إليها بابتسامةٍ مُرَّةٍ، وحاولتُ أن أمازحها، قائلا: "لا تقولي: الحزن عليك هو المكتوب". ابتسمتْ ابتسامة ظننتُها صافية، ثم ضحكتْ وقالتْ: "اضحكْ يا ولدي؛ إياك أن تظن أنني أقوى منك أو أستطيع أن أفعل لك شيئًا، أنت يدي، يا ولدي". لم أعرف إن كان عليَّ أن أضحك أم أبكي، صمتُّ قليلا، ثم ربَّتُّ عليها وأخذنا نضحك سويًّا ونحن نتمرَّغُ في الطين.

٣١ ديسمبر ٢٠١٦



محاولةُ وصولٍ

لا تنظر إليَّ بشفقة هكذا يا صديقي! "الحمد لله"، سأقولها لك، ربما نظرتُك ليست شفقة، هل هي استغراب؟ يمكنني أن أستشفَّ ذلك من حركة عينيك، هههههههههه، لا تستغرب هكذا، أنا ميِّتٌ يا صديقي: ذلك الجسد تمرَّد على روحي الميِّتةِ وانطلق على هواه في الشوارع. يبدو أنه لم يعد يعترف بي، وأنا لا أستطيع أن أزيح كل هذه الطبقات من على روحي، سأغوصُ داخل روحي الآن لأصل إلى نقطة توقُّدِها، فربما استطعتُ أن أنتفض وأجعلها تنتفض معي.

١١ أغسطس/ ٣١ ديسمبر ٢٠١٦

طزّ

مهداة إلى كبير الأشباح

وسط هذا الألم الذي لا يطاق، أنظر إلى الفراغ داخل الشقة وأخرج له لساني. أضحك بصوت مسموع وأحاول أن تعبّر ضحكتي عن الفرح كي لا يفرح ساكنُ الفراغِ بانتصاره. لا أستطيع. أدخل للغرفة الداخلية وأغلق البابَ خلفي، هههههههههههه على أساس أنه ليس موجودًا فيها. ماذا أفعل؟ لا أحتملُ، رأسي تدور والألم يُسقِطُني على الأرض. لا أستطيع فتح عيني، فقط أتمتم: "طزّ فيك وفي منْ كلّفك يا زعيم الأشباح. زوجي سيجيئ قريبا". أبتسم وأترك نفسي للدَّوَار.

٢٣ أغسطس ٢٠١٦

يا اللّه

هههههههههههههههههه آآآآآآآآآآآآآه هئ هئ هئ هئ... حِكْمَتُكَ!! أقدر ولا أقدر، وكيف لجسدي المتجبّر أن يحتمل ما لا طاقة لي به؟!! كيف يحتمل هذا الجبروت وهذه الأشباح؟!! مفكّاتٌ تعصفُ بروابط رأسي، ولا أريد الخروج. فقط أريد أن أفهم... أفهم... أفهم... أهذا كثيرٌ؟!! حكمتُك وأنا راضية بها، هذا الصرخة في روحي طوفان يجرفني، لا أطلب شيئا إلا فُلْكًا وبحرًا وطاقةً إضافيَّة. آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه! يا الله.

٢٣ أغسطس ٢٠١٦

رحماكَ

ما الذي جرى؟ هل فاضَ حضورُ ما جرى لدرجة أنني لم أعد أراه؟ لمَ تتنقل كلُّ قنابله الذريَّة إلى داخلي هكذا؟ لماذا أنا الآن شبحُ إنسانة؟ هههههههههههههههه أشباح أخرى يا بنت؟! اللهم احفظنا. لا تنقصني آثارُ المزيد منهم. آه منها تلك الأرض المسكونة بأشباح يستحضرون أشباحًا ليحوّلوا الأجسادَ إلى أشباح والأرواحَ إلى خرابات!! كرياليسون... رحماك... ...ten piedad ...abbi pietà ...some mercy ...aie pitié...erbarme dich

٢٣ أغسطس ٢٠١٦

عجزٌ

وردتي البرّيّةُ تعصف بها زعازعُ الحقول، هل ذنبي أنني جامحٌ أو أنني مِنٌ للسماء؟ لماذا ينظرُ أصحابُ الحقولِ إلى أريجنا نظرة تجمع ما بين المكر والعداء والاستخفاف؟ لماذا تتحوّل أياديهم إلى مناجل تحشُّ كلَّ مساربِ الأريج ويقفون ليشاهدوا أوراقي المتساقطة وأسئلتي النازفة؟ أنظرُ إلى حقولهم بشفقة وأسى، ولا أعرف إن كانت الانكساراتُ بداخلي ستتجمّع وتتحوّل إلى زعازع مضادّة يزعزعُ أياديهم وأرجلهم وجبروتهم العاجز!!

٢٣ أغسطس ٢٠١٦

محاولة فرح

نعم أنا أحتفل يا صديقي، هل أنت صديقي أم رفيقي أم حامل السلاح في وجه رأسي؟ دعني أفرح قليلا وأرقص على أنغام اغنية "عشان لازم نعيش مع بعض، عشان شايلانا نفس الأرض، عشان لازق فيما نفس العرض....". نعم، سأحتفل وأغني وأرقص، ما الذي يضرك في ذلك؟ لماذا تنظر لي هكذا؟ يبدو أنني سأعدل كلمات الأغنية وأعلنها حربا موسيقية وشعرية في وجه..... ما الذي يمكنني أن أضيفه لكلمة "وجه" وأنسبه إليك؟ ماذا؟

٢٨ ديسمبر ٢٠١٦



حق طبيعي

سعادة الـــ..... من أنت؟ ما هذا الظلم؟ هذا حق طبيعي لي ولغيري: أريد أن أنام، وإذا نمت أريد أن تنام رأسي معي ولا ترى "الأيام السوداء " بكل ألوان الطيف والأطياف المجاورة في المنام، وأريد أن أنام أيضا ولا أجدني أعمل ليل نهار لمجرد الحفاظ على جسمي وأجسام عائلتي...... هههههه جئتك يا عبد المعين تعينني..... لا بأس، ما الذي يؤرقك؟ لماذا أنت خائف من الغد هكذا؟ هل لديك أسباب أخرى للخوف غير أسبابي؟ هههههههه اضحك أيها الكائن؛ لن نأخذ من الدنيا شيئا

٧ يناير ٢٠١٧

ما أنا بعمرو

لو كان آخر الليل رجلا لقتلته ونكلت به بعرض السرير وطوله، يراوغتي - والهاتف يقترح عليّ "يراودني"، حتى أنت يا هاتف عقلك وذاكرتك في موضع آخر!!! - ويخرج لي لسانه قائلا: "هذا ليس زمانك، هذا ليس مكانك"، ثم ينظر لي بلؤم ويقول ممازحا: "وجهودك حمراء؛ انس يا عمرو"، فأرد عليه بضحكة غبية: "ما أنا بعمرو". أقاطعه عندما يقول: "اعمرْ يا...." وأنهي القصة

٧ يناير ٢٠١٧

س ط ح

تَسَطُّحُ رأسي لا يُحْتَمَلُ. لا أستطيعُ النومَ، مع أنني كنتُ أتوقَّعُ أن أنامَ قبل الآن بساعات. لم أشربْ قهوةً ولا شايًا منذ صلاة المغرب، ولا أظن أنني أفكِّر في شيء يُقلِقُني بشكل مباشر، وأمامي يومٌ كاملٌ من الإشراف على الامتحانات في الغد. يُفتَرَضُ أن صورةَ المستقبلِ بدأت تتضحُ لي، فهل يقلقُ الإنسانُ رغمًا عنه؟ هل يخشى شيئا لا يعرف ما هو؟ هل التسطُّحُ صعودٌ إلى السطح أم عملٌ زائدٌ عن الحدِّ أم إحساسٌ بالضباب والهاوية وانسدادِ الأفق العام؟!

٢٣ يناير ٢٠١٧

صناعةٌ

دائخٌ وآرِقٌ ورأسي هاربةٌ في الضياعِ. هل "آرِقٌ" لها علاقةٌ بـــ "آبقٍ"؟ هل أسعى لأن أنتفضَ على نفسي وعلى خارجي؟ هل للحياةِ سَكْرَةٌ مثلَ سَكْرَةِ الموتِ؟ هل أستطيعُ أن أنْظِمَ جملة واحدة وسط هذا الكدر؟ هل كدرٌ أم عكرٌ؟ وأنا لا أحب أن يصطادني أحدٌ، سواءً أكانَ الماءُ رائقًا أم عكِرًا؟ سأغمضُ عينيّ وأغوصُ داخلي، فربما استطعتُ أن أصطادَ أسلحةً موجودة داخلي وكانت غائبةً عنّي، ربما استطعتُ أن أنزع يدي من بين تلك الأيادي التي تصنعُ الضياعَ...

٢٣ يناير ٢٠١٧

ابتسامةٌ مُنْكَسِرَةٌ

من فوق الشجرةِ الوحيدة، يضعُ يدَه فوق حاجبيْه وينظرُ للبعيد. يقلّبُ عينيْه في جميع الاتجاهاتِ. تبدو عليه نظرةُ انكسارٍ. يهبطُ ويبدأ في التحرّكِ بعيدًا. أنادي عليه دون أن أعرف اسمَه: "ابقَ هنا. يمكننا أن نصنعَ حياةً صغيرةً". ينظرُ إليّ بابتسامة مُرَّةٍ، قائلا: "من أين جئتَ؟ كيف ظهرتَ؟ سنوات هنا ولم يظهر أحدٌ في أفقِ هذه الأنقاض". تزداد مرارة ابتسامته، يهز رأسه كأنه لا يصدق أنه يراني، ويُسرعُ الخطى.

٣٠ أبريل ٢٠١٧

استفزاز

يُفتَرضُ بك أن تعملَ، ولكنك في حالة استفزاز، ولا تريد أن تخسر أحدا، وفي الوقت ذاته لا تريد أن تسكت. ماذا تفعل أيها المُسْتَنْفَر والمُسْتَفَزّ ويا من ستأكل أصدقاءَكَ؟ هل تحتملُ قصتُّك القصيرةُ جدًّا هذة الانفجارَ؟ لا تفعلْ شيئا. فقط، اسحب نفسًا عميقًا من شيشتِكَ، زُرَّ عينيك، انظرْ نظرةً طويلة بعينيك اللتين ضيّقتهما إلى شاشة الكمبيوتر، إلى أن يتلاشى الفيسبوك في آخر نظرتِك. وساعتها ستبرز صورة العمل أمام عينيك وستختفي صورة الاستفزاز مؤقّتًا.

٣ أغسطس ٢٠١٧



تخصُّصٌ

عندما أدركتُ أن المذيع لم يستضفني في البرنامج من أجل الحوار حول موضوع الحلقة وإنما من أجل حاجة في نفسه، قلتُ له:

يقول الشاعر: "أحمر على أبوه يا بطيّخ". ولم يقل: "أحمر على أمه يا بطيخ"، لأن الأم مَدْرَسَة خاصّة، ويبدو أن الأبّ مدرسة متخصصة، ويتساءل جمهور المشاهدين الآن: "فيمَ تتخصّصُ هذه المدرسة؟! وإلى أن تجيب القناة على هذا السؤال، أعلن انسحابي على الهواء من البرنامج".

٩ نوفمبر ٢٠١٧

انتحارُ رَمْزِيَّةٍ

عندما انتقدتُ أحد أفكاره، قال الكاتب: "أنا رمز، ومن يهينني سأسجنُه خمس سنواتٍ وأغرّمه ١٠٠ ألف جنيه. استعدّ يا مهين لقضاء عقوبتك". نظرتُ إليه طويلا، كما ينظر المستمع إلى متكلم ليستكشف ما إذا كان جادًّا أم هازلًا في كلامه! وعندما لم أستطع أن أحدد شيئًا، قلتُ له مهدِّدًا: "أنا رمز أيضا. فاستعد لخمس سنوات و١٠٠ ألف جنيه". وها هو يبني غرفة في أرضه ليسجنني فيها وأنا أبني غرفة في أرضي لأسجنه فيها، والبقاء للسجّان، فليريني كيف يستطيع أن يسجنني في سجنه!

٩ نوفمبر ٢٠١٧

تَذْكِّرةٌ

فارغ الرأس، أبحث عن شيء يذكّرني بي. أنظر حولي: ضوء القاعة صامت؛ وجوه الطلاب مصمتة؛ زجاجات الماء الفارغة تملأ القاعة وتنظر لعيني بغضبٍ؛ هاتفي يقول بوصول عشرات الرسائل (أدعية وصور وإعلانات)؛ صوت الضجيج بالممر مضَلِّل. أغمض عينيّ بينما أهزُّ رأسي. أفتحهما وأنظر من جديد: تنطبق الغيوم على بعضها ويهزُّ صوت الرعد المكانَ. أُبْقِي عينيّ بالخارج وتخرُّ ذاكرتي صَعِقَةً.

١٦ نوفمبر ٢٠١٧

إلى هذا الحد

جاء نحوي مسرعا. شدني من ياقة قميصي وقال لي موبِّخًا: – ألِلى هذا الحد تنسى نفسك؟

لا أذكر أنني أتجاهل نفسي إلى حد الإسراف ولا أذكر أنني منغلق على نفسي إلى درجة تجاهل زخات المطر. لذلك لم أفهم سؤاله جيدا، ولكن كان عليَّ أن أجيب إجابة حاسمة، أن أوقف خطوته، أن ألفت انتباهه إلى أنه تجاوز المدى. تقدمت نحوه خطوة لدرجة أنني كدت ألتصق به. شددتُ ياقة قميصه وقلتُ بنبرة تجمع بين التهديد والتوبيخ:

– ألِلى هذا الحد تتذكَّر نفسك؟

فاصفر وجهه وانسحب مبتعدا دون أن يتكلم كلمة واحدة.

١٧ أكتوبر ٢٠١٢

خارج زمانها

تسقطُ نُقطةُ ماءٍ. تعكِّر ذكرى شكَرتُ اللهَ أنني تمكَّنتُ من استحضارِها. أحسُّ بالعطشِ وبالبَتْرِ وبالفزعِ. أنظرُ أمامي، ورائي: الخيوطُ مُنْقَطِعَةٌ وكأنِّي مقطوعٌ من شجرةِ المكانِ وشجرةِ الزمانِ وشجرةِ الحدودِ. تقولُ لي قطرةُ الماءِ: "استرجِلْ أيُّها الغريب. ضحَّيتُ بحياتي، وسقطْتُ لأرويَ جفافَ ذكراكَ. ماذا تتوقَّعُ من ذكرى نقلتَها خارجَ زمانِها؟ أتريدُها صافيةً، أيُّها الواهمُ والغريبُ وكارهُ عصارة ذكراكَ؟" أهِمُّ بأن أعتذرَ لقطرةِ الماء. لكنَّها تتلاشى، وتتلاشى الذِّكرى. أتخبَّطُ. أصطدمُ بجدار. أسقطُ. ربّما أستعيدُ توازُنًا قد يُعيدُني.

١٣ أكتوبر ٢٠١٤

بذور أنياب

وجدناه ينزل إلينا فجأة إلى أسفل الجبل كأنه يسكن أعلاه. نظر إلى زَرْعِنا الذي يكاد يختفي في باطن الأرض وقال: "كيف يكون النهرُ لكم وتستحلبون صحراء جفَّ عنها الطوفانُ وخاصمتها الأسماكُ؟" نظرنا حولنا إلى الرمال التي تعاندنا وقلنا بحسرة بادية: "النهر صارت له أنيابٌ وحرَّاسُ قصورِه أسلحتُهم لا تنام". مال نحو نبتة من النبتات الهزيلة ولمسها لمسة حانية، قائلا: "ستكون لها أنياب ولن يهدأ دويٌّ طلقاتِها، فلا تبخلوا عليها بأنفاسكم". وواصل سيره كالطيف بين الحقول الوليدة. فملنا على النبتات ندفئها بأنفاسنا من صقيع الشتاء وواصلنا حفر البئر لنروي أنيابنا. ١٩ ديسمبر ٢٠١٠



صوتٌ هامسٌ

صوتٌ يدقُّ هامسًا على باب أذني. أتهيَّأُ على عَجَلٍ وأفتح الباب، فلا أجد أحدًا، كأن النبرات ضياعٌ وكأن بئرَ السلَّم الهاويةُ. التفتُ يمينا ويسارا. أخطو ثلاث خطواتٍ. أنظر دون أن أخشى السقوط. لكن الهاوية تظل هاوية، والصمت القاتل يستولي على كل درجات السلم كجراد يهم أن ينشر السلم لأظلَّ معلقا في الهواء ويظل الصوت هامسا دون أن أراه أو أصطادَ نبراتِه. فأغلقُ الباب بإحكام وأهبط الدَّرَجَ محاذرا. تدهس لهفتي كلَّ الجراد وتسارع الخطى بحثا عن صوت هامس ينده أذني.

٢٢ سبتمبر ٢٠١٢

صداً خطواتٍ

- اشتقتُ إليكَ.
- وكيفَ أشتاقُ إليكَ؟
- ألا ترى فيَّ شيئًا واحدًا يجذبُكَ؟
- أراكَ صنمًا وأراكَ لا تراني.
- وكيف لا أراكَ؟
- كأنَّ أحلامَكَ هباءٌ وكأنَّ انطلاقَكَ صدى لريحٍ أنكرتَها.
- سامحْني.
- أنا لا أسامحُ. عليكَ أن تجلوَ صدأَكَ وكفى.
- والخطواتُ التي قطعْتُها؟!
- أكملْ كما يحلو لكَ. لكنَّكَ في المَرَّةِ القادمةِ قد تنظرُ في المرآةِ ولا تجدني.

١ أبريل ٢٠١٤

يعسوب

أحسستُ بحشرةٍ تتسلَّلُ إلى ورقتي. فزعتُ. سمعتُ صوتا يقول: "أنا يعسوب". سألتُه:

– وما اليعسوب؟

– ألا تعرفني؟

– ومن أين لي أن أعرفُكَ؟

– لماذا تهينني هكذا؟ أنا أنثى ولستُ رجلا. لا تغُرْكَ ضخامةُ جسمي.

– ولو. لستُ من جيل اليعاسيب.

شَغَّلتُ صاعقَ الناموس ولا أدري إن كان يستطيعَ أن يقضي عليه أو عليها أم لا. ١٨ سبتمبر ٢٠١٤

نُبَحِّرُ شَعَرَنَا

قالت: بإمكاننا أن نصفصف شَعَرَ البحرِ.

نظرتُ في عينيها نظرة طويلة لأستكشف ما إذا كانت جادة أم أنها تتكلم بنبرة ساخرة. وعندما لم أستطع أن أتبيَّن المنطلق الذي انطلق منه سؤالها، قلتُ لها:

وبإمكاننا أن نُبَحِّرَ شَعَرَنا.

فنظرتْ إليَّ نظرة تنمُّ عن حيرة حاولتْ أن تخبِّئَها خلف أشعة عيونها التي تثير الدم في خدودي وقالت بلهجة مازحة حاولتْ أن تُكسبها قدرا من التردد:

دعني أفكِّر.

ثم أخرجتْ مشطا من حقيبة يدها وألقتْ به بلامبالاة في البحر. ١٧ أكتوبر ٢٠١٢



قطفٌ

– لا تقطفْها يا ولدي.

– أشتهيها يا أمي.

– تحسَّسَها أبوكَ وقال: "شجرتها تاريخي".

– أيأكل في مرضِه؟

– لأنه مريضٌ لا تقطفْها.

– أتصدِّقينَ الخرافاتِ؟!

– قلبي يُصدِّقُها يا ولدي، فلا تُزِدْ همِّي.

– سأقطُفُها.

– أتسمعُ الصراخَ يا آكلَ أبيكَ؟!

– لكنني قطفْتُها

– ....

١ أبريل ٢٠١٤

جدلٌ

– أمعقول؟ أنتَ؟!!

– أمعقول بعد كل تلك السنواتِ؟

– كيفَ حالُكَ؟

– مثلَ حالكِ.

– وبسمتُكَ المُضْطَرِبَةُ؟



- تضطربُ لبسمتِكِ واضطرابِكِ.
- هل نرجعُ الخُطى؟
- والبصماتُ على الطريقينِ؟
- جدلٌ كلامُكَ.
- وجدلٌ عيناكِ.
- سلامًا يا صفحةَ الماضي.
- سلامًا يا منبعَ الذِّكرى.

١ أبريل ٢٠١٤

بلا أقدام

أحسُّ بمرارة قدمين لي. دخلتُ لأحتفل، لأبتهج، لأستقبل عاما جديدا. كان جسدي شجرة تضرب بروحي في رَحْمِ هذه الأرض. ها أنا أخرج بلا قدمين، بلا رجلين، بلا نور يضيء لي الطريق. أنظر إلى جسدي بمرارة. أراه وطنا بلا أقدام. أنظر لأعلى. السماء مظلمة. السماء سوداء. الغيوم تحبس دموعها وتجري لتقذف بنفسها في البحر. أتحسس سرير عربة الإسعاف. ألمسُه وطنا تتجرف عجلاتُه إلى الهاوية. أنظر إلى هيكل سيارة الشرطة. تزرف مرارتي دمعة وتسارع للحاق بسيارة إسعاف أحس بأنها ستنجرف إلى عمق البحر.

٣ يناير ٢٠١١



أسباب طافحة

لليوم الثالث على التوالي، كنتُ أرسل لصديقي رسائل على برنامج الدردشة، وأرسل له أخرى على البريد الإلكتروني. قلقتُ عليه كثيرا. طلبتُ رقمه. حمدتُ الله في سرِّي عندما سمعتُ صوته. بادرته مازحا:

– أين أنت؟ هل فُجِّرَتْ بكم الكنيسة ليلة عيد الميلاد؟

ردَّ عليَّ دون أن أدري إن كان مازحا أم جادا:

– هنا لا توجد سوى كنيسة صغيرة. الشخص البائس طمع وفجَّر نفسه في سوق تجاري.

فأخذنا نضحك دون أن نستطيع أن نحدد سببا واحدا من أسباب بِرْكة ألمنا الطافح.

١٠ يناير ٢٠١١

قريبا

ابتسم ابتسامة عريضة تحالفت عليها أسنانُه، فلم ارَ لها عُمقا. كنتُ أواسيه لإرسابه. تحوَّلت الابتسامةُ إلى سخرية مُرَّة. ارتشف الرواسب المتبقِّية من فنجان القهوة بالرغم من أنه كان دائما يتركها. أغمض عينية. هزَّ رأسه بسرعة، قائلا:

– أنا بخير.

وأخذ يردد هذه العبارة. نهض فجأة مهدِّدا أو نازفا:

– أرسبوني نعم. لكنني لن أدعهم يُجنِّوني.

ربَّت على كتفي قائلا:

– لا تقلقْ. سأستعيد توازني قريبا.

وانصرف ماسحا دمعة سقطت على خدِّه.

١ يناير ٢٠١١

راياتٌ تائهة

كيف تحرق طلقتي روحا خضراء؟ كيف تقطع شجرةً لا تريد إلا أن تطرح ثمارها؟ كيف أجرِّف أرضا هي الطمي والشمسُ والبذورُ؟ فلتنقطعْ يدي قبل أن تُطْلِقَ نارَ العارِ... يا رفاقي، لماذا نحرق الأرضَ والشجرَ والهواءَ؟ لماذا نقطع الماء عن محصول أوشك على الاستواء؟ يدي ها هي صامتة بلا حراك، وإن تحرَّكتْ لحظةً ستطلق النار عليكم يا من تنقضون ميثاقَ الشرفِ وترفعون راية لا تفهمون معناها... آآآآآه... أهكذا في قلبي ورأسي؟ على الجانب الآخر... هناك... رأسي. قلبي... ينبض... في قلووووبهم الـــ...مساااا...لِمَة... لا إله...إلا...الله... تسقط... تس...قط...الراااا...يات ...التا...... ئـــ...هـــ......ة....

٦ مايو ٢٠١٢

شُرَّاعاتُ القلقِ

وجهانِ يُنَفِّسانِ. وجهٌ في آخرِ الطريقِ. علامةُ استفهامٍ في أوَّله وعلامةُ تعجُّبٍ. وجهٌ لا تبينُ ملامحُه. وجهانِ يستبشرانِ، يُخمِّنانِ، يرسمانِ صورًا شتَّى، ويرفعانِ في الأفقِ نظرةً تُنْزِلُ سقفَ القلقِ درجةً. وجهٌ في مُنتصفِ الطريقِ تبانُ ملامحُه قليلا، لا يقول شيئًا، لكن القلقَ الذي يحرُسُه ينفي البشارةَ، فيتعثَّر الرجلُ في خطواتِه أرقًا أو جوعًا أو تعطُّشًا لرحابةِ أُفُقٍ. يسرعُ الوجهانِ نحوه، فربما استطاعا أن يساعداه. وعندما تلتقي الوجوهُ، تنفجرُ قُنْبلةٌ لا يعرفون من أين أتَتْ، لكنها تُطَيِّرُ الأرقَ وتهدُّ سقفَ القلقِ لتنفتحَ الطريقُ على شُرَّاعاتِ الوطنِ.

٢٦ نوفمبر ٢٠١٣

برزخٌ

ياااااااااه! لم أكن أظنُّ أن البرزخ نقطة التقاء أعباء هكذا! كنتُ أظنُّ أن هذا اليومَ سيكون باسمًا كعادته في العام الماضي، وأنني سأشعر بالرضا لأنني استطعتُ أن أنجزَ جزءًا كبيرًا من الأعمال التي كنتُ أنوي القيام بها مثلما في ذلك العام، وها أنا أدركُ أثرَ الفراشةِ، وأن الأزمة الاقتصادية التي لا شأن لي بها خسفت بإنتاج هواياتي الأرضَ ولم تُبقي لي وقتا لإنجاز ربعِ جدولِ الأعمال الذي وضعتُه في مثل هذا اليوم منذ عام. لا



مفرَّ. لا بد أن أرحِّل بعض الأعمال إلى هذا العام الذي سيطلُّ بعد ساعتين وأضيف إليها بعضَ الأعمال التي بدأتُ فيها في العام المنصرم وأتركها مفتوحة لما هو قادم.

٣١ ديسمبر ٢٠١٦

من أين لك هذا؟

"من أين لك هذا؟ كلما نطرح فكرة، يظهر أنك خبيرا فيها وتسفِّه آراءَنا!! ما هكذا تكون العلاقة بين الأنداد!! كلُّنا أدباء مثل بعضنا البعض، ويُفتَرَضُ أن تكون العلاقةُ بيننا بالمِثل". أنظرُ إليه طويلا، ولا أعرف إن كان كلامُه فاجأني أم لا، فأظن أننا سواسية فعلا ولا بد أن يلمَّ كلٌّ منا بقاسم مشترك من التاريخ والتذوق والمعرفة وإبصار روحِ العصر. أبتسم وأقول له: "نحن سواسية فعلا، لكن عليكَ أن تبرهنَ على هذه المساواة، من أين لك كل هذا الجهل؟ الطّمَعُ يستثمرُ ما جُمِعَ ههههههههههههههههه"

٣١ ديسمبر ٢٠١٦



تحذير!!

- السلام عليكم

- وعليكم السلام

- رأيتُ أنك انضممتَ لمجموعتنا الأدبية

-يسعدني ذلك

- ولهذا دخلتُ لك على الخاص

-شكرا على هذا الترحيب

- ممنوع نشر الروابط على المجموعة

- حتى روابط الكتب الأدبية؟!

- دخلتُ على صفحتك قبل أن أراسلك ووجدتك تنشر روابط كتبك عليها ولهذا أحذرك

٢٥ مايو ٢٠١٦

سُكْرٌ

أليس هذا السُّكْرُ في العمل حرام يا فضيلة السلطان؟ ما معنى أن ينكفئ الإنسان على عمله ليل نهار كي يستطيع فقط أن يجد لقمة عيشه؟ هل هذه الضرائب والاستقطاعات والتلاعب بأسواق العملة والسلع بمباركتك؟ عملي يُذْهِبُ عقلي وإنسانيتي، ولا أستطيع أن أرفع وجهي من على يدي، لا مساس، لي أم لك؟ لا تقل لي: "احمد ربك على أنك لديك عمل،

فغيرك لا يجد العمل"، لا تقل لي ذلك أيضا، فأنا أحسنُ عملي ولا أجد إنسانيتي! ما معنى هذه الابتسامة الغامضة؟! ما معنى هذه النظرة الجانبية؟! كله إلا هذا! جسمي لا يحتمل في مثل هذا العُمر! فلتَكسَحكَ يدي، والبادئ أظلمُ.

٧ يناير ٢٠١٧

مؤامرة كونية

الحدث: ملَّتْ ابنتي من المذاكرة ومن كثرة الحشو في المناهج الدراسية بما لا يترك لها وقتا للترفيه عن نفسها، فجلسنا سويًّا أمام التليفزيون لنشاهد بعض اللقطات من الأفلام، ثم أخذتُ كتابَها الدراسي لأحاول أن أحلَّ بعض المسائل المعقدة التي ترهقها ولا علاقة لها مباشرة بالدرس، فقامت بإنزال جزء من علم بلادنا الذي ألصقُه على زجاج باب غرفة مكتبي، وصوّرتْه بحيث أظهر أنا في الصورة على مكتبي وأنا ممسك بكتابها المدرسي ومنهمك في الحلّ، ورفعتْ الصورة على الفيسبوك وفوقها تعليق عبارة عن جملتين من فيلمين مختلفين: "أين أنتِ يا جهاد؟ الدواء فيه سُمٌّ قاتل".

أول تعليق أسفل الصورة: "مؤامرة كونية على سيادة الرئيس".

١١ مارس ٢٠١٧

ثقة باللّه

- لمَ تفرح بانخفاض عملة بلدِنا؟ وتقلق على عملك هنا وتعتبرني سآخذ اللقمة من فمك؟

- أنت علماني

- وأنت تريد أن تؤسلم الأدبَ الإنجليزي!! إذا كنتَ لا تجد نفسَكَ فيه، لماذا تخصصتَ فيه؟

- قلتُ لك: "أنت علماني"، ولم تصدّقني

- يا صديقي، هذه المخاوف فقدان ثقة بالله، لماذا تسدُّ طريقَ الإيمانِ إلى قلبك؟ لا تحاولْ أن تكسبَ خطوةً على حسابي.

- (ينظر إليَّ نظرة باهتة كأنني شفطتُ ما بداخله من دمٍ): أنتَ علمانيٌّ ولا يُعْتَدُّ برأيكَ.

- في المرة القادمة، سأجعلك تبكي دمًا وتعرف أن اللهَ حَقٌّ.

١٣ أبريل ٢٠١٧

ولكن!!

- اسمُكَ وسنُّكَ وعنوانُكَ؟

- ولكنني دكتورٌ جامعيٌّ، والتحقيق معي يكون إداريًّا وليس نيابيًّا!



- ولكنّ الأهالي قدّموا بلاغاتٍ بأنّك تهدد سِلْمَ عقولِ الطلابِ وتكدّرُ أمنَ أفكارِهم المحافِظَة.

- ولكن هذا ليس قانونيًّا ولا أكاديميًّا، ما فائدةُ الجامعة إذن؟

- أتفهم في القانون أكثر من الأهالي؟!! اسمُكَ وسنُّكَ وعنوانُك؟

١٦ أبريل ٢٠١٧

فواتير

ماذا سيفعلون إن لم أدفع الفواتير؟ يقطعون الكهرباء؟ هذه الثلاجة ليس بها شيء قد يفسد. يقطعون الماء؟ هو منقطع أصلا، يأتي ساعة ويغيب ساعة. ما الذي آخذُه منهم غير الفواتير؟!!! ما الذي أعطيهم غير عمري الذي يُسفك شبابه ودماؤه في وظيفة لا تملأ فمي ولا تتيح لي أن أرفع رأسي من على المكتب، أن أرفع رأسي لأي اتجاه؟ هذه الملفات دهاليز لا أستطيع أن أخرج منها، وهذا الأفق متاهة لعيني، ورأسي لا تستطيع أن تستوعب شيئا!! ماذا سيفعلون؟ يفعلون ما يفعلون، وعليّ الآن أن أرفع رأسي وأحاول أن أبصر شيئا واضحًا في الأفق...

٢ يوليو ٢٠١٧

عذابٌ

ركبتُ التاكسي، تورَّمتْ قدماي، المشي عذاب. معي مائة جنيه، وسأضحّي ببعضها.

هل معك فكّة مائة جنيه، يا أسطى؟

- ربنا يفرجُها. سنجد فكّة في صيدلية أو محلٍّ.

ماذا أفعل؟ ها نحن نلف منذ ساعة ولا نجد مائة جنيه صحيحة أو مفكوكة في أي محلّ، وأصحاب المحلات والصيدليات ينظرون للمائة جنيه كأنها شيء مجهول!! هل يمكن أن يكون ارتفاع الأسعار المتكرِّر في هذه الشهور القليلة هو السبب؟ هي في النهاية مائة جنيه. هههههههههههه قيمة الأجرة في عدّاد التاكسي قاربت على المائة جنيه

- المائة جنيه مكتوبة لك يا أسطى. اتجه لبيتي مباشرة وباقيها حلال عليك.

٢ مايو ٢٠١٧

ج ن ب

لا أعرف إلى أين أسير، والمكان حولي غريب مع أنه مكاني، لا أعرفه، وهناك هاجس يدفع خطواتي ويوجّهها، نزلتُ من الأتوبيس فجأة في منتصف الطريق اليومي، وها أنا أسير إلى موضع ما في هذا المكان الذي أعرفه من الخارج،

ولا أعرف أحدًا فيه على وجه الخصوص. يدفعني الهاجس أو صوت ما إلى أن أتجه نحو ذلك الشارع الجانبي! لماذا؟ نزلت من الأتوبيس في منتصف الشارع الطويل، وها أنا أضطر لأن أتجه من الشارع الرئيسي إلى شارع جانبي، وكأن الخط المستقيم لا يوصل لشيء، لا بد أن أواصل السير حتى أكتشف ما تريد قدماي أن أصل إليه...

٢ يوليو ٢٠١٧

حركات!

حسَّاسُ حركتي لا يستطيع أن يلتقط إشارة مفتاحي. أهمُّ بالحركة، فتخطو قدمي للأمام، ولكنها سرعان ما تعود إلى مكانها. لا يمكن أن أكون في كابوس: ها هو الشارع والناس والسيارات، ها هي الاندفاعات والأصوات والحوادث. ماذا حدث؟ لا أظن أنني صرتُ عملة تضخّمتْ إلى أن صارت حركتها بلا قيمة! لا أظن أنني قائد يدور في نفس المكان بنفس الخطوات القديمة! لا أظن أنني أرغب في السكون! ما الظنُّ وما الحركةُ؟ من أنا ولماذا أنا هكذا؟ سأواصلُ الخطوَ إلى أن يحدث شيء وتَتَفَعَّلَ حركتي، لا مفرّ...

٤ يوليو ٢٠١٧



صورةٌ

هلالٌ دائريٌّ، أو بالأحرى قمرٌ مُجَوَّفٌ، يتجوّل بحركة ظاهرة، وتتقاطع خيوط من نور بنفسجيٍّ في تجويفه، كأنه يعبّرُ عن الامتلاء بطريقة أخرى، أو كأنَّ فراغَه الذي يظهر للعين ليس فراغًا. ها هي الخيوط تشكِّلُ صورة، تبدو باهتة الملامحِ. تتحرك طبقاتُ الصورة. نعم!! إنها أنا!!! كيف...؟ تقطع صورتي سؤالي وتقطع نفسها من الهلال الدائريِّ، وتأخذ في السباحة في الكون بعيدا عن القمر المجوّف. أمدُّ يدي لأعلى حتى ترفعني صورتي وأسبحُ معها. تبتسم لي ابتسامة عميقة ذات مغزى لا أعرفه وتشير لي بأن أُنْزِلَ يدي وأتحرّكَ في مكاني. أبتسم لها دون أن أستوعب مغزى ابتسامتي وأواصل سيري في الأرض راضيًا.

٤ يوليو ٢٠١٧

إجازةٌ

لن أذهبَ لأحدٍ. سأظلُّ هنا، عالقًا، حائرًا، نعم، أصارعُ نفسي وماضيّ، أحاول أن أنظر للأمام، وأستكشفَ طريقًا. ربما كانتِ الطُّرُقُ لا تعبر سماء الأفق اليومَ، ربما كانت هي الأخرى تبحثُ عن سالكينَ يستحقونها، وربما ذهبت لقضاء إجازة في زمان ما، المهم أن هناك كلمات اسمها طريق وأفق

وسماء ونظر وأنا. قلتُ لك: "لن أذهب". ما جدوى استجداء الوجوه والأماكن واستجداء العودة إلى نقطة التقاء وتجمُّعٍ؟ لن أجد أحدًا كما كان، ولن أجدني هناك، سأجد ماضيّ مقتولا على أعتاب البيوت، ولن تجد دمعتي مكانًا تحلُّ فيه. فلنأخذ أنا وأنت أيضا إجازة ونبحث عن طريق تستحقُّنا ونستحقُّها، فلنذهب الآن مع هذه الإجازة...

٤ يوليو ٢٠١٧

حصى

لم أشأ أن أتأرجح على حصى الروح هكذا! كيف وصلتُ إلى هنا؟ كيف تركتُ أرضي تدفعني إلى حافة اللاشيء هكذا؟ لماذا أنا الآن هكذا؟ هل لأنني رفضتُ أن أخرج إلى أرض الله الواسعة وتمسكتُ بالأرض كي لا أفقد توازني؟ ما معنى التوازن الآن؟ ها أنا وصلتُ إلى نتيجة مماثلة: لا شيء، والشيء حلمٌ مستحيلٌ، إرادة قيد الاعتقال بلا سبب. يا الله، بيدك الأرض والحصى والروح والتوازن، وبيدي الآن العدمُ وأمنياتٌ هاربة. أحاولُ أن أحفظ توازني على حصى يؤرجحني، محاذرًا ألا تبتلعني كُثبانُ حصى إلى الهاوية...

٥ يوليو ٢٠١٧

وديان

هههههههههه ها أنا بواد غير ذي زرع، مع أنني وضعتُ بذوري في قلب التربة بيديّ، ولا سراب يظهر في أفقي ولا ماء ولا جبل، ولا ابن لي ولا غنم. عندما أحرقَ الحارس أرضي وشبّعها بالمواد الملوثة، خرجتُ. وعندما انفتحت بصيرتي على إرادتي دخلتُ. قد تختلف الأماكن، لكنني الآن بوادٍ غير ذي زرع، ولا أعرف كيف سأستقبل ابني القادم، ولا إن كانت صحة زوجتي ستستطيع التحمل إلى أن يجيء، ولا إن كانت البذور مازالت صالحة بعد انقطاع المطر الطويل.. غيوم تظهرُ على البُعد، ولا أعرف إن كانت ستستجيب ليدي التي تدعوها للإقامة أم أنها ستواصل السفر إلى وادٍ ذي زرع كعادتها...

٥ يوليو ٢٠١٧

غذاء

هل خاصمتُكَ؟ هل جلستُ في غرفتي أثني إصبع يدي وأرسم علامة الخصام وأنا أتصوّر أنني أفصل يدي عن يدك؟ هل تكلمتُ معك منذ شهور حتى يدور بيننا كلام يدعو للخلاف؟ هل الخلاف يؤدي إلى الخصام؟ هل الخصام يجلب القطيعة والعداء؟ من أنت؟ هل أنت صديقي؟ أم أنني أتوهم



ذلك؟ هل تتوهمني عدوًّا؟ هل تعادي نفسك أم أنك عداوة تمشي على الأرض؟ اضغط على زرِّ إلغاء الصداقة كما تشاء، وآسف لأن ذلك لن يشفي غليلك، فلن تستطيع إلغاءها مرات ومرات، لم يعد في قلبي متسعٌ للبغض يا... فأنا أملأه بما يغذي دمي ورؤاي وبصيرتي.

١٠ يوليو ٢٠١٧

مُعَسَّلٌ

"هذا المُعَسَّلُ ليس مغشوشًا. فبعد أن تضاعفَ سعرُ المعسّل، اشتريتُ النوعَ المعتاد، واشتريتُ نوعا آخر رخيصا لأخلطه به، حتى يقلَّ سعرُ ما أستهلكه شهريًّا من المعسَّلِ"، قال لي ذلك. وعندما وجدني أجلس محتارًا في اختيار الكلام الذي يمكن أن أردّ به عليه، قال لي محتدًّا: "لماذا تنظر إليّ هكذا، وكأنني أشكو لك مشكلة تافهة؟ كيف أتكيَّفُ مع هذا الطعم الغريب الذي يشبه طعم التراب أو الخشب وقلمي اعتاد أن يحسّ بالأصالة والصفاء كموسيقى تصويرية حتى تحيا الصفحاتُ به؟" نظرتُ إليه بانبهار أو حسد، وقلتُ له: "يكفيك أن راتبك يتيح لك أن تشتري معسَّلا، رخيصًا كان أم صافيًا".

٣ أغسطس ٢٠١٧

ندوة الاسم والهوية

شكرا لكم يا أصدقائي؛ دعوتكم لحدث ندوة "الاسم والهوية"، ولبيتم الدعوة، وها نحن في المكان المحدد، وها أنا أسمعتكم أغنية "أنا مش أنا" لعبد الباسط حمودة، وسقيتكم عصير البلح. لا أمنُّ عليكم بشيء. لكنني سأتخذ الخطوة الجريئة الآن وأنادي كل منكم باسم "بلحة". لا تنظروا باستغراب هكذا، أنا لا أهينكم، وهذا ليس بيتي، بيتي تحت في شقتي، لكننا هنا على السطح، أرض الله المرتفعة، ولا يلزمني المكان بأصول أنا ألتزم بها لو كنتم في شقتي، هههههههه، الذي يناديني منكم بعد الآن باسم يحرّف اسمي، سأناديه بالبلح كله. أتريدون أن ترقصوا الآن على أغنية "أنا مش أنا"، أم على أغنية "آه لو لعبت يا زهر"، أم أغنية "شربت حجرين ع الشيشة؟؟ أم ترقصون على أغنية "رَكِّبْني المرجيحة"؟ هههههههه هيا ارقصوا...

٣ أغسطس ٢٠١٧



أصلو—طين

- شكرا جزيلا يا أستاذ أفلوطين.
- من أفلوطين؟
- أنت!!
- أترين لذلك النجم روحًا؟
- هذه خرافات.
- مَن أفلوطين؟
- ....
- أنا أفلاطون
- لم تقل لي إنك تؤمن بالحب العذري!!
- أنا صورة من عالم المُثُلِ
- ماذا؟
- ألا ترين هذه القصة على شكل حوار ومحاورة؟
- نحن آسفون يا صلاح

٣ أغسطس ٢٠١٧

أسئلة ومقاصل

"يا ولد يا.." سمعتُ النداءَ. حرصتُ ألا يظهرَ عليّ أثرٌ كأنَّني لم أسمعْ شيئا. كنتُ وسط أصدقائي. مضتْ السنوات ولا يفارقني السؤال الذي كان في صيغة نداء ولم أستطع الإجابة. ربما أحسستُ بالحَرَجِ ساعتها وربما أحسستُ بالضيق: امرأة قروية ربما قريبة لي أمام مستشفى. هل كانت تُعالَج فيها؟ أم كانت تذهب لأحد؟ أم كانت ترافق قريبا؟ ربما لم أكن أريد أن أظهر في وسط أصدقائي الشباب في مقتبل الحياة الجامعية أنني أعرف أمثال تلك المرأة. قلتُ لأبي بعدها إن فلانة نادتني ولم أردّ عليها. وبَّخني وقال لي:

- ربما كانت تحتاج شيئا.

وها أنا بعد ٣٥ عاما أتذكَّر نداءها وأتذكَّرُ توبيخَ أبي الراحل دون أن أستطيع أن أكفِّر عن شيء أو أنسى شيئا.

(٦ يونيو ٢٠١٤)

قبرٌ

فتاةٌ صغيرةٌ تجلسُ على حافَّةِ الرصيفِ. تتأمَّلُ الشارعَ كأنه خارجها تماما ولا تنتمي إليه. تنظرُ إلى ملابسِها التي لا تستطيعُ أن تسترَ بردًا، ثُمَّ تُعاودُ النظرَ إلى الشارعِ. تُخفي وجهها بين يديها كأنها لا تريد أن ترى شيئًا. تمرُّ سيارةٌ

مُسرعةٌ فتقذفُ نحوَها ماءَ المطرِ المتراكمِ في حُفرةٍ بالشارعِ. تنهضُ فَزِعَةً وقبلَ أن تتدبَّرَ أمرَها أو تُخْرِجَ انكسارَها بكلمات صارخةٍ في وجه صاحب السيارة الذي انطلق بعيدًا ولن يسمعَهَا، تقبضُ عليها سيَّارةُ شُرطةٍ بتُهمَتَيِّ التسوُّلِ وبُنُوَّةِ الشارعِ. تجلس على طرفِ مقعدِ السيارة المزدحمِ وتنظرُ نظرةً غائرةً إلى الشارع كأنه لا ينتمي إليها وكأنَّ جدرانَ السيارة قبرٌ. (١٢ أبريل ٢٠١٤)

عصافير

لَسْتِ محظوظةً يا وفاء! عندما تنظرين من الشرفة لأسفل تنتابكِ الحسرةُ. أهما بلا عيون؟ ما بِه العُقمُ؟ على الأقل إذا ماتا لن تبقى بناتُهما كالبيتِ الوَقْفِ هكذا! ذهبا ليتبنيا بنتا من الملجأ، ونحن أمامهما، أو فوقهما، أنا وأخواتي، بلا عائل، وأمي بلا حول ولا قوة!! ألم تكن إحدانا أولى بالتبني؟ أليس الجارُ أولى بالشُفْعَةِ؟ تنعم بنت الملجأ في نعيمهما منذ سنوات، وننكفئ نحن في فقرنا منذ سنوات، ولا يفصل بيننا سوى سقف شقَّتِهما وأرضية شقَّتِنا. لله ما أخذَ وما أخذَ. أغلقي الشرفة يا وفاء كي لا ترمي بنفسك من الطابق وتستريح وساوسكِ وادخلي لتبحثي عن لقمة تفرحُ بها عصافيرُ بطنِكِ.

(٣ سبتمبر ٢٠١٤)

تلاشٍ

تعرَّفتُ فيه على ملامح قديمةٍ. كان يجلس على قطعة صخرٍ أمام بيتٍ في حارةٍ مررتُ بها عن طريق الخطأ أو قادتْني إليها قدماي. قلتُ له:

- كيف حالُكَ يا شاعرَ العربِ وكيف حالُ ربابتِكَ؟

نظرَ إليَّ من وراء رموشٍ تكاد تنسدلُ، قائلا:

- أيُّ شاعرٍ؟... أيُّ عربٍ؟... أيُّ ربابةٍ؟

وتقطَّعتِ الكلماتُ على لسانه وكأن رعشةَ يده لا تذكر عزفًا وكأن ذاكرته لا تذكر شاعرًا. ربَّتُّ على يده. وضعتُ ما تيسَّر في جيبه وأخذتْ قدمي تئنُّ لوقعِ صوتِ ربابةٍ يتلاشى في أفق الزمانِ ويتلاشى صاحبه ليغيب عن نفسه وعنّي وعن نشوة حماسٍ كانتْ تعانقُ الصوتَ.

(٤ مارس ٢٠١٤)

ناقصونَ

– أريدُ أن أتزوَّجَ.

– وزوجَتُكَ؟

– لم تَعُدْ تحتملُ شبابي.

– شبابُكَ؟!

– أريدُ فتاةً في السادسَةِ عشر.

– وماذا ستقدِّمُ لها بسنواتِكَ التي تطعَنُكَ؟!



- وماذا تريدُ غيرَ شبابي؟
- وأبناؤكَ وبناتُكَ؟
- معهم أُمُّهُم.
- ألمْ تَقُلْ إنها....؟
- الشَّرْعُ يا دكتور. أتريدُ أن تحرِّمَ ما أحلَّهُ؟
- يا دكتور، أتريدُ أن تختلطَ دماءُ السنواتِ المتغايرة؟
- كفاكَ فلسفةً ودفاعًا عن نساء ناقصاتٍ.

(٧ و ١١ مايو ٢٠١٤)

على نفسها جنتْ بديعة

- (للضابط شاكيا) سبَّ لي الدينَ يا باشا.
- وما الذي جعلَه يسبُّه؟
- قلتُ له: ستتعذَّبُ الآن وتتعذَّبُ لاحقًا يا فاسِق.
- وماذا أفعلُ أنا؟ تعالَ واجلسْ مكاني إذن!
- حضرتك لأمور الدنيا يا باشا. أما هذا الفاسق فهو لي.
- كيفَ تُثبتُ أنه فاسقٌ ولم تحرر له مَحْضَرًا، ولم يتم التحقيق معه ولم تُحَدَّدْ له جلسةٌ؟
- الفسقُ لا يحتاجُ لهذه البِدَعِ!
- بِدَع يا روحَ بديعةٍ. تيييييييييييت على نفسها جنت بديعة. علّقوا هذا الفاسق الذي يبتدع دينا جديدا واصرفوا مكافأةً لذلك "الفاسق" الذي سبَّه.

٤ أغسطس ٢٠١٤



مناظر: متتالية ومتجاورة قصصية

منظر (١)

سيدة تستجدي ضابطا أن يتدخل، فالدماء سالت في الشوارع وفي الساحة وعلى الإسفلت وعلى الأتربة وعلى العِصِيِّ الخشبية والجنازير. ضابط ينظر إليها بلامبالاة، ثم يحوِّل نظره ويجول به على الفريقين. يبتسم عندما يرى الأمور تسير كما ينبغي. تتحول السيدة إلى ضابط آخر. يبدو أنه لم يستمع إليها، فها هي تغادره إلى ضابط ثالث. وقبل أن تصل إليه توقعها طوبة على الأرض.

منظر (٢)

صحفيٌّ يقف أمام باب المحكمة. ينظر إلى الضابط متسائلا:

الصحفي: ألم يسمح القاضي إلا بدخول المحامين الذين معهم توكيلات عن أهالي الشهداء؟

الضابط: أي شهداء؟ أتظنها دكتاتورية؟ أي محامٍ يدخل كما يحلو له. تعلَّموا الديمقراطية. أخربتم البلد.

الصحفي: سأدخل إذن بصفتي صحفيا.

الضابط: لم يسمح القاضي للصحفيين بالدخول.

منظر (٣)

يدخل القاضي قاعة المحكمة. لا تخمد الأصوات. يقرِّب فمه من مكبِّر الصوت: "السادة المحامين الرجاء الهدوء". يتمالك أعصابه. يطيل النظر إلى القاعة بنظرة غاضبة كسيرة محتدة لائمة، "أي نظرة والسلام"، المهم أن ينظر، أن ترتسم على وجهه علامات الجدية والهيبة والصرامة.

منظر (٤)

وجوه باسمة في قفص اتهام كبير كأنه الحرية بعينها. من يمسك مصحفا. من يتمارض على سرير. من يقف واثقا. من يسوِّي شاربه. وعندما يسأل القاضي كل منهم عن التُّهَمِ الموجَّهة إليه، يشغِّلون جهاز تسجيل لا يمل تكرار جملة واحدة: "أنكرها جميعا".

منظر (٥)

يحتدم الكلام بين أيادي المحامين عن المدَّعين بالحق المدني. تعلو أصواتهم. يلتفتون لكاميرات التليفزيون المتجولة بالقاعة. تتحول أصواتهم إلى صراخ: من يحاول أن يصعد فوق المقعد ليظهر في الصورة أكثر؛ من يُعلي صوته ليظهر صوتا وصورة؛ من يضرب كفا بكفٍ ويكاد يشد شعره أو يخبط رأسه في جدار كي لا يموت غيظا أو قهرا أو تنسيه



اسمه كل هذه الأعداد. يحس بأنهم جاءوا ليفسدوا المحاكمة: أنهم محامون عن المتهم ولكنهم فضلوا الجلوس في هذا الصف، أنهم لا يريدون سوى الضياع.

منظر (٦)

محام (١): سيُكتب في التاريخ أنني وقفت أترافع ضد رئيس الدولة.

محام (٢): قل رئيسا سابقا. الاحتياط واجب. وسأكون في كتاب التاريخ معك.

محام (١): من المؤكد أن الناس عندما يروننا سيجيئون بقضاياهم عندنا.

محام (٢): أتمنى ذلك، فالناس هذه الأيام يأخذون حقهم بأيديهم ولا يلجئون إلى المحاكم.

محام (١): والمحاكمات العسكرية لا يحق لنا أن نقف أمامهما.

محام (٢): لا تقلق. ستنفرج الأزمة. فقط ادعُ الله أن يجعل القاضي يحدد جلسة يوميا لهذه المحاكمة وأن تطول إلى ما لانهاية.

منظر (٧)

يسرع محام بزيِّه الرسمي نحو باب المحكمة. يوقفه ضابط.

المحامي: معي توكيل.

الضابط: تفضَّل. لحظة. أرني التوكيل.

المحامي: تفضل: توكيل من أم أحد الشهداء في قضية القتل.

الضابط: آسف.

المحامي: نعم!

الضابط: لو كان توكيلا بالحق المدني كنتُ أدخلتك.

المحامي: آه! الحق المدني! وماذا عن دمه؟

الضابط: يا رجل أنت إنسان فاهم. أتصدِّق الفضائيات المغرضة؟!

منظر (٨)

يصرخ شاب محاولا أن يسد الدماء التي فجَّرها الجنزير في وجهه. ينادي على الضابط الذي يعطيه ظهره. يتناوب الإشارة نحوه إلى الدم وإلى الواقف على البعد بالجنزير متوعدا. يبتسم الضابط ويرسم بيده علامة النصر، ثم يدير له ظهره من جديد.



منظر (٩)

يلتقط بعض الأهالي الحصى المتناثر على الأرض الرملية بجانب الطريق المرصوف. وقبل أن ينطلق الحصى من أيديهم، تفاجئهم الجنازير لترتبك الأيادي. يخطف أصحاب الجنازير الحصى الذي جمَّعوه وينطلقون ليقفوا على الجهة الأخرى متوعدين.

منظر (١٠)

– يا ولدي، أتتركونهم حتى يقتلوا بعضهم بعضا؟

– وماذا أفعل يا أمي؟

– أراكم بالآلاف؟

– لسنا هنا إلا لتأمين المحاكمة.

– وحياة الذين سال دمهم على الطرقات والساحات؟

– ما جئنا هنا لحماية معارضيه من مؤيديه أو مؤيديه من معارضيه.

– والدم الذي سال؟

– تعليمات يا أمي.

– أي تعليمات؟

– ألا ترين الأسلحة في أيدي مؤيديه؟ إن أطلقت نارا ولو في الهواء سيقتلني أحدهم أو ربما يقتلني زميل لي.

- ربنا يطيل عمرك يا ولدي.
- وسينصرهم الله يا أمي. سينصرهم. لا تقلقي.

منظر (١١)

يرفع القاضي الجلسة للمداولة. ينشغل الحاضرون بثرثرتهم. ينزل من كان يرقد على السرير في القفص من على سريره. يخرج. يظل السرير في القفص شاهدا على فراغ، على جريمة، على استهتار، على عين لا تستطيع أن تفارقه. يد تشير إلى السرير. تحاول أن تلفت الأنظار إليه، تلفت كاميرات التليفزيون. يجد يدا أخرى تضرب على يده لا يعرف من أين جاءت ولا يستطيع أن يحدد شخصا ليردَّ عليه بضربة مثلها.

منظر (١٢)

يسلط مصوِّرٌ تليفزيوني كاميرته على أصحاب البنطلونات والجنازير. ينقل تعبيرات وجوههم المتوعدة والنظرة الصارمة في أعينهم. يرن جرس هاتفه. يقول له رئيس القناة: "انقل الكاميرا يا بني آدم". ينقل المشهد نحو الدماء الجارية والأجسام المتكسّرة والملابس الممزقة. "ارجع بكاميرتك يا بني آدم. أهذه صور تلتقطها؟" يقف المصوِّر حائرا لا يدري ماذا يفعل، ثم يسلِّط كاميرته نحو السماء.



منظر (١٣)

يفتح صاحب اليد التي ضُرِبَتْ في منظر سابق كاميرا هاتفه على قفص الاتهام. عندما يحكم القاضي بالتأجيل لاستكمال الأدلة، يرفع المتهمون أياديهم بعلامة النصر. يمد أحدهم يده ليمنع الكاميرا من التصوير، لكن يده لا تتمكن من الخروج من القفص. تركز الكاميرا على ضحكاتهم وهم يتسامرون ويستعدون للخروج من القفص.

منظر (١٤)

يخرج الوزير المتهم "واثق الخطوة يمشي ملكا". يسير بخطوات عسكرية منتظمة كأنه في تدريب ما. يسلِّم على الضباط الواقفين أمام المحكمة ضابطا ضابطا. يرفعون له أيديهم بالتحية العسكرية. يبتسم أكثر. يكمل طريقه إلى السيارة التي ستنقله إلى محبسه.

منظر (١٥)

يحرِّك أربعةُ أشخاص السرير الذي يرقد عليه الرئيس المتهم، خارجين به من الباب الخلفي للمحكمة. اثنان يسحبانه. اثنان يدفعانه. يؤدي الضابط الواقف التحية العسكرية. يشير الرئيس بيده لمن يحرِّكون كرسيَّه بأن يقفوا. يترجَّل من على السرير غاضبا متجهِّما. يهوي بيده على خد الضابط: "ليستْ



هكذا التحيَّة يا ..." ويتلفَّظ بكلمة بذيئة. يبتسم الضابط ابتسامة وجلة ثم يؤدي التحية من جديد. يبتسم السيد الرئيس المتهم. يضربه بكفه من جديد، ولكن بمرح هذه المرة. ينحني الضابط ليقبِّل يده. يعود المتهم إلى سريره لتنقله عربة الإسعاف إلى المستشفى الأكبر.

منظر (١٦)

تمتلئ الساحة بالدماء. عندما يختفي موكب السيد الرئيس، تختفي الجنازير والعِصِيُّ الخشبية والصواعق الكهربية. يشير أحدهم ويبدو من إشارته أن مكانته كبيرة بينهم: "هيَّا إلى هناك". يختفي الضباط والجنود. يظل أهالي الشهداء ومن جاء ليقف بجانبهم غارقين في دمائهم على إسفلت تضرب فيه شمس تكاد تهلك كل شيء.

منظر (١٧)

محام (١): آه لو يسمحون لنا بالترافع في المحاكمات العسكرية!

محام (٢): سيجد كل محامِيٍّ البلدِ مئاتَ القضايا.

محام (١): وستدور عجلة الإنتاج.

محام (٢): وستنهض البلد اقتصاديا، فبها مليون محام على الأقل.

منظر (١٨)

ضابط (١): مازال سعادة الباشا الوزير بكامل هيبته.

ضابط (٢): هكذا الشرطة دائما لها رونقها.

ضابط (١): لأول مرة أقف أمام سعادة الوزير وجها لوجه. أحس بأنني ترقيتُ درجتين.

ضابط (٢): (ضاحكا) مبروك يا عم. أنا لم أترقَّ إلا درجة واحدة.

ضابط (١): (يضحك).

ضابط (٢): يضحك.

منظر (١٩)

يتحسَّسُ الضابط خدَّه مبتسما. يرفع يده من على خده وينظر فيها متأملا كأنه يحاول أن يقرأ البصمات التي على خده. يقبِّل باطن يده التي لمست خده، ثم يقبِّل يده كلها وجها وظهرا، حامدا الله أنه نال شرف ملامسة يد الرئيس له. يسير رافعا رأسه متباهيا مبتسما متعاليا على الضباط الآخرين.

منظر (٢٠)

يخرج القاضي من باب المحكمة. يتوقف فجأة غيظا أو كمدا أو تمثيلا عندما يرى من على السلم المنظرَ البانورامي بأكمله: جثث ملقاة هنا وهناك لا يعرف إن كانت حية أم ميتة،



دماء تسيل، أجساد تتعكز على بعضها البعض، وجوم تام، لا وجود لأية عربة إسعاف. تفر دمعة من عينيه لاعنا الرسميات والأدلة الدامغة التي يجب أن تتوافر والأحراز التي تصل إليه ناقصة والأيادي التي تقف وراء كل هذه الدماء. يدعو الله أن تكون سيارته لم يتم تحطيمها كي يأخذ أكبر عدد فيها إلى أقرب مستشفى.

منظر (٢١)

تنهال الحجارة على سيارة القاضي في وسط الطريق. يتهشم الزجاج. يتساقط بالداخل ليزيد جروح من ينقلهم معه إلى المستشفى. تهوي الأيادي بالجنازير على السيارة. تمتد إلى القاضي. تخرجه. وقبل أن تسحله أرضا، يشير بيده، قائلا:

- أنا معكم.
- كيف تكون معنا وأنت تنقلهم بسيارتك؟
- معكم بالقانون ومعهم بقلبي.
- الحرص واجب أيضا.
- ملعون أبوكم وملعون أبو القانون.

تسحله الأيادي. وتلسعه الجنازيرُ، ثم تعود إلى سياراتها وتنطلق.

١٥-١٨ أغسطس ٢٠١١

خريف "يتحدى الملل": متتالية قصصية عن المؤلف

هواء وأغصان

عندما يدب الهواء بين الأغصان، تتكمش، تنتفض، تنسحب إلى شرنقتها، تخشى أن تتساقط أوراقها في خريف امتدّ، تنضمّ، تتدثّر ببعضها، علّ دفئا يدغدغ براعمَ وليدة فتخرج من بياتها الخريفي، تبزغ لتهبّ أغصانها تدفقا، تركل الخريف بأوراقها الرضيعة، تتباهى بحياة ستكون لها، تقول "أنا هنا"، وتتهيأ للامتداد في كون فسيح.

الخريف القديم

استحوذ الخريف في نزوة على الزمن، ارتأى أن بإمكانه أن يمتلك الوقت، تزمجر الآونة، تركل باب "خ ر ف"، تعلقه على "زويلة[٢]" القرية، تجمّع شتاتها المتناثر في البلاد، تلتحم، تتوحد، وتستأنف تداول المواسم.

عاصفة الشجراء

يتمرد الخريف على جذره، يعصف بالخرافة والتخريف والخرف، يشعل النار فيما تيبس، ويجلس ليستدفئ بذاته التي أعدمها في عاصفة الشجراء.

[٢] باب زويلة أحد أبواب القاهرة القديمة ويشتهر بأن المصريين علقوا عليه رؤوس رُسُل هولاكو قائد التتار الذين أرسلهم هولاكو ليهددوهم.

عاصفة الحياة القادمة

يجلس الخريف على قمة ذلك الجبل، يراقب الاندياحات خلفه، ينعم بمرأى التدفق والحياة والانطلاق، يغفو قليلا، يهاجمه كابوس التجمد، يهبُّ منتفضا، يفسح الأرض للأطفال ليدبُّوا عليها.

الإطاحة بالفتيل

يبتسم الخريف لبدر نابت على ضفة السماء، يداعبه على البعد ويحنو عليه بنظرات فيها من السماد والربيع جنان، يبتهل عندما يكتمل القمر في سُرّةِ السماء، لكنه عندما ينحسر ويمسي فتيلا صغيرا يتذبذب في الأفق ولا يبذر النور في أرض السماء، يطيح به في آخر الشهر ليفسح المجال لبدر جديد...

القتل الرحيم

يبتهل الخريف عندما تحبو الشمس على مشرق الأرض بجانبه على الجبل، ينفخ في أوصالها علّ نارَها تستعر، فتستعر وتملأ الكون حرارة وحياة، لكنها عندما تخمد نارها وتتحول صفرتها إلى دم متكلس، يقتلها، يلقي بها من على قمة الجبل، لتعود شمسا أخرى في الصباح.

الخريف ومراقبة الجودة

يعسُّ الخريفُ في الدروب، يفحص منابت الحياة، ليطمئن على منابع المرونة، تتفرس عيناه في كل الجذور، عندما



يتشبث نبعٌ بحياة كانت قد تجمَّدت عند أطرافه، يجتثُّها، حتى يفسحَ المكانَ للأغصان الوليدة.

الحركة الحرام

بعد أن يرضي مراقب الجودة ضميره، ويسجِّل كل المخالفات الشجرية، يصدر تصريحا بالغياب الأبدي لكل من تكلست حركته، وبعدها يعود إلى الجبل نارا يستأنس بها كل من ولى وجهه شطر الحركة الحرام، تتداول النبوءات، تصير الألواح شريعة لكل الأغصان، فيبتسم الخريف في وجه الحركة.

طب الخريف

يداوي الخريف ما شاخ، يفتح بطنه ليخرج ما بها من أجنة، لا يأبه بتساقط القشرة، فلابد أن تعود إلى رحم أمها في باطن الأرض لتلتحم بقناديل الخصوبة...

أوان الخريفات

عندما يحس الخريف ببادرة إرهاق يتنحى عن ذلك الجبل، يشير إلى أولئك الخريّفات الصغار الذين ينهمكون في العمل عند سفح الجبل بأن يصعدوا، علّ أحدا منهم يجلس مكانه، ويكمل مشوارا كان قد بدأه.

٢٠٠٧

الفهرس